مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ
ISSN: 1112- 7872
E-ISSN: 2600-6162
مجلد: 18 عدد: 01 أوت 2022
العنوان: نحو براديغم لغوي لفهم الهوية. *ص.ص 167- 192.*

نحو براديغم لغوي لفهم الهوية

عزيون محمد اليمين[1]، سعيدي محمد[2]،
1- جامعة أبو بكر بلقايد -تلمسان- amlyamine@outlook.com
2- جامعة أبو بكر بلقايد -تلمسان- m.saidi@gmail.com

تاريخ الإرسال:2021/01/05؛ تاريخ القبول:2022/02/17

Towards a linguistic paradigm to understand identity -

Azzioune, Saidi

Abstract:

Through this study, we try to approach identity with the purpose of understanding according to a linguistic paradigm. It has been clarified that language is an important factor to explain the nature of identity, its mechanisms of action, and its social and cultural formation. It also concluded that we, as identities, depend on what we stand on in terms of symbolic resources, which is often the language, so that we construct our experience through which we confirm the features of ourselves and the reality surrounding us.

Keywords: linguistic anthropology; identity; language; Linguistic practice; self; other.

الملخص:

نحاول من خلال هذه الدراسة الاقتراب الى الهوية بالفهم وفق براديغم لغوي. وقد توضح أن اللغة عامل مهم في تبيان طبيعة الهوية وآليات عملها وتشكلها اجتماعيا وثقافيا. كما خلصت إلى أننا كهويات نعتمد على ما نقف عليه آنيا من موارد رمزية وغالبا ما تكون هي اللغة فنبني بها تجربتنا التي نؤكد من خلالها معالم أنفسنا والواقع المحيط بنا.

الكلمات المفتاحية: الانثروبولوجيا اللغوية؛ الهوية؛ اللغة؛ الممارسة اللغوية؛ الذات؛ الآخر.

مقدمة:

تحتل اللغة مكاناً في قائمة الأشياء التي يتميز بها الانسان ويتأكد من خلالها وجوده ككائن ثقافي. فاستعمال الأفراد للغة حقيقة هو حاجة اتصالية لتشكيل الحياة الجماعية والتعبير عن الذات. وتتجلى بذلك التماثلات والاختلافات، التي يحرص عادة المتشاركون من خلال المواقف والسلوكات الفردية والجماعية في السياقات الاجتماعية على إبرازها لأغراض التحديد والتمايز، وهو ما يتقاطع مع المعاني المتضمنة لمفهوم آخر يقف ليس ببعيد عن هذه المعاني وهو الهوية. مساحة هذا التقاطع مهمة فقد تشير إلى شيء من الارتباط أو علاقة ارتباطية بين اللغة والهوية، أو أنها ضيقة الى درجة تصير فيها مجرد تزامن اعتباطي لا يقيد حتميا الضرورة الوجودية للذات مع اللغة.

وقد تباينت الرؤى بين من يقدم اللغة كعامل مهم في تحديد وبناء الهوية وبين من ينفي هذه العلاقة والتي تعتبر عرضية مقابل أهمية عوامل اجتماعية وثقافية أخرى كالعرق والانتساب السياسي والطبقة. ولازال النقاش مستمرا لم يفصل جذريا في طبيعة العلاقة ووجودها بالأساس. فاستعمال الأفراد للغة يعكس بعض الخصائص لديهم تميزهم عن غيرهم هذه الخصائص تمتد على متصل يربط المكونات المادية والرمزية بما يحدد سماتهم الديموغرافية وانتماءاتهم الاجتماعية، وحتى فروقهم الفردية. لذلك يؤكد الكثير من المهتمين خاصة بعد "المنعطف اللغوي" بأن اللغة تساهم مباشرة في تشكيل الهوية وأن الهوية لا وجود لها بشكل مستقل عن اللغة، وتبرز كمحصلة لمجموعة من التمثلات التي تبنى عبر الخطاب اليومي بين المتفاعلين، هؤلاء الذين يعمدون إلى عرض أنفسهم وفق بناء مستحدث حسب بناء الآخر المقابل. وجهة النظر الأخرى لا ترى بدا من ربط الهوية باللغة، فالهوية مكون للذات التي تنشأ اجتماعيا بشكل متناسق مع متغيرات أخرى تحدد في مجملها البنية النهائية للفرد أو الجماعة، وليست اللغة سوى جزءا من هذا البناء قد يحدث أن تعبر عنه لكن ليس ذلك بالضرورة الحتمية فقد تتقدم عوامل أخرى تتسم بها الذات أكثر من غيرها كالدين أو العرق أو الحدود الجغرافية، أو

السلطة الاجتماعية أو السياسية. فالتلازم لا يعني علاقة الإيجاد أو الاستحداث، بل يمكننا حتى القول بأن اللغة هي من تتأثر بمعامل الهوية وأنها تتشكل بفعل الهوية وأنها لا تعد كونها تعبير رمزي لما هو مبنيا مسبقا.

لكن الهوية بمراسي ثابتة قد تتلاشى أمام صفات التغير وعدم الثبات، الأمر الذي تنزع إليه تقريبا كل الفلسفات والنظريات الاجتماعية الحديثة. ثم حتى وإن لم يكن هناك تأثير مباشر بينها وبين اللغة فوجودهما المتزامن يجعل خصائصهما تتداخل ويمكن أن تسري قوانينهما على بعضهما البعض. فاللغة من جهة وهذا التشكل المتغير الذي يميزها لا يمكن أن يساعد على استقرار الهوية على حال بالنظر لاختلاف الممارسة وتباين المواقف الاتصالية، ما يعكس هوية احتمالية تعمل دوما على مواءمة الموقف، مما قد يظهرها بشكل مغاير في موقف آخر، وبناءا عليه اتخذت معظم الأعمال الحديثة حول اللغة والهوية منظورًا يرى الهوية شيئًا ديناميكيا متعدد الابعاد في تغير مستمر. وينقلنا ذلك من معنى العلاقة العام إلى الحديث عن بناء وعرض الهوية. تخضع لعملية بناء وإعادة بناء مستمرة، تنتقل من عرض إلى آخر تقدم من خلاله سمات مغايرة حسب سياقات الاستعمال اللغوي وبما تقتضيه الحاجة. وهي لا تخضع بالضرورة لمعاني التجانس والمواءمة كي تحكمها علاقات التوافق والامتثال فتعدد عناصر الهوية مع تباين حالات المواجهة الكلامية وما تبرزه الوضعية الخطابية تدفع بها إلى حالة تنافس تكون فيه مجبرة على إظهار غنى رأس مالها الرمزي، مما يؤثر في صور الهوية الظرفية بشكل مباشر.

علاوة على ذلك، فإن الهويات تظهر نوعا من التعدد والتراكب بحيث يمكن ربطها بهويات أخرى. بهذا المعنى، يمكن أيضًا أن ننتقل في آن واحد بين مختلف الصور الاحتمالية للهوية يتحكم فيها الآخر، فيصبح الاهتمام بالذات متوقف على مدى الحفاظ على صور الهوية في حضور هذا المقابل المتكلم الذي يحاول بسط سماته، والعملية في مجملها متبادلة بين الذوات المتصلة وتسري في الاتجاهين. ونحن

بذلك ندافع عن قيمة تحليلية لمقاربة ترى الهوية كظاهرة تفاعلية واجتماعية ثقافية تستند إلى الموارد الرمزية الأكثر مرونة لإنتاج الهوية، أو بناء الهوية. وفي الوقت الذي نقر بهذا التكيف التفاعلي، نقف على حقيقة تأثيرها في هذه البنى أيضا. وعلى اعتبار اللغة هي المكان الذي يتبنى فيه ذاتيتنا واحساسنا بأنفسنا، تصبح هي الأخرى محل تأثير للهوية.

وللإشارة فقط، فإن الإقرار بالهوية كبناء هو تحيز نظري إلا أن ذلك مبرر بكونه الأقرب لتفسير التحول الحاصل في طبيعة الهوية والحركية الاجتماعية المتجهة نحو غلبة الحياة الرمزية والافتراضية بالإضافة للإتصال المباشر وتلاقح الثقافات. فالتفاعل اليومي يصفي إلى معرفة متجددة بالذات والآخر، ولكل عملية خطابية تبعات نفسية وثقافية لا تنتهي عند حدود المحادثة إنما تتخطاها إلى المدركات العقلية والمراتب الإنفعالية التي تعمل بدورها على تعديل أو تكييف الذات بناءا على مخرجاتها. لتظهر بنية جديدة على استعداد لمباشرة محادثة مماثلة لكن بخصائص جديدة أيضا، والعبرة ليست بكمية أو مدى هذا التغير في البناء وإنما وجوده ورتابته التي تؤكد تغير الهوية وعدم ثباتها وبالتالي بناءها وإعادة بنائها.

1. الهوية ما بعد المنعطف اللغوي

كان موقع اللغة كواحد من العناصر، أو حتى العنصر الأساسي في بنية مجتمع، افتراضًا أساسيًا للانعطاف اللغوي. وقد تجلت هذه الفكرة في أشكال عديدة تباينت فيها درجات الاعتماد على اللغة في خلق المعاني وبالتالي بناء الواقع الذي نعيشه. وتمر من وجهة النظر المعتدلة إلى حد ما والتي تعتبر بأن اللغة هي وسيلتنا الوحيدة للتواصل وتفسير واقعنا الذي نعيشه بكل مكوناته وتحولاته والأهم أنه لا يمكن الوصول إليه بأي طريقة أخرى إلا عبر اللغة. إلى الرأي القائل بأن الواقع الاجتماعي نفسه يعمل كلغة، وهي نظرة متطرفة نوع الما، حيث ينتج المعنى من خلال قواعد رمزية نطلقها للتعبير عن واقعنا.

أيا يكن من المقاربات فإن هذا "المنعطف اللغوي" يعلن أهمية و "هيمنة" اللغة، وتبوأت معه مكانة حساسة نمارس من خلالها واقعنا ونبتدعه بسلوكات روتينية نتبادل فيها الرموز.

وترجع غالبا هذه النظرة التي تجعل من اللغة مركز اهتمام العلوم الاجتماعية في العالم الفكري الغربي إلى تأثير أعمال دي سوسور وفتغنشتاين، وفقًا لبعض المفكرين، جعلت من اللغة ليس فقط كعامل بنيوي، ولكن أيضًا كشرط رئيسي للتعبير عن أي شيء يخلق واقعنا. تبعا لودفيج فيتجنشتاين، لم يتم تصور اللغة كوسيلة لتمثيل واقع خارج لغوي ولا كوسيلة للتعبير عن أفكارنا وعواطفنا الداخلية. بدلاً من ذلك، فإنها تشكل في نهاية المطاف نظامًا مرتبطًا بقواعد من المعنى والفعل. وكذلك فعل دي سوسير فقد طرح فكرة أن اللغة تمثل نظاما مجردا من العلامات، ويستند هذا النظام على مجمل الارتباطات المنتظمة التي تحكم بها العلامات لتشكل نظاما أو بنية، وقد الهمت هذه الفكرة العديد من المفكرين الاجتماعيين وعمدوا إلى تفسير الواقع الاجتماعي بناءا على هذا الطرح واعتبار المجتمع كبنية متكون هو الآخر من بنيات. ولأن اللغة من وجهة نظر سوسير تؤلف نظاما بنيويا متماسكا؛ فإنّ أي مقاربة لفهم الواقع ينبغي أن تعمل على وصف وتفسير عمل النظام الداخلي الذي تأسس في الأصل لغويا ويعمل وفق المعطى اللغوي. ومن هنا كانت الانطلاقة، ففي عام 1967، حرر "ريتشارد رورتي Richard Rorty" The Linguistic Turn: Essays in Philosophical Method دون توقع أن هذا التعبير سيكون محور الربع الأخير من القرن العشرين في العالم الأكاديمي الغربي. بالنسبة للفيلسوف الأمريكي ريتشارد رورتي، فإن "المنعطف اللغوي" هو في نفس الوقت الإهتمام الذي ينسبه فتجنشتاين ودي سوسور إلى فكرة اللغة وتأثيرها على الأنشطة البشرية والعلوم. لكن الفكرة كانت لها بداية أولى قبل رورتي والتي كان من المحتمل ألا يتم سماعها، حيث قدم "جوستاف بيرجمان Gustav Bergmann" تعبير "المنعطف اللغوي" في مراجعته في عام 1960 لكتاب الأفراد لستراوسون (Beaney, 2013).

ISSN: 1112- 7872 مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ
E-ISSN: 2600-6162
مجلد: 18 عدد: 01 أوت 2022
العنوان: نحو براديغم لغوي لفهم الهوية. ص.ص 167- 192.

استخدام المنعطف استمر مع العديد من المفكرين وشمل عدة مفاهيم تؤطر الحياة الاجتماعية، فقد أعيد النظر في الكثير منها وتم صياغتها تماشيا والطرح الجديد، بذلك أُخِذَت المعاني وتجددت النقاشات حول فهم واقعنا وقبل ذلك ذواتنا في مختلف سياقاتها الاجتماعية والثقافية وحتى النفسية. وعمل على ذلك كل من فوكو، جاك دريدا، وبورديو والكثير من المفكرين الذين حولوا الاهتمام بالبنية العميقة للوعي والذات البشرية وكان اعتقادهم أن دراسة البنى الاجتماعية يجب أن يبدأ بتحليل اللغة. كان المبدأ الأساسي لهذه المقاربة هو أنه لا يمكن فصل الفكر والعمل البشري، بل هو العمل البشري نفسه. فملاحظة فتغنشتاين في التحقيقات الفلسفية وقوله "لقد تعلمت مفهوم" الألم "عندما تعلمت اللغة" (Wittgenstein, 1953, p. 384)، أو عندما ادعى جاك دريدا أنه "لا يوجد شيء خارج النص il n'y a pas de hors-texte" (Derrida, 1967)، يقود إلى فهم مغاير للأفعال الاجتماعية يتطلب أولاً فهمًا للبنية العميقة لبروتوكولها اللغوي وتشكيلها وقواعدها. فاللغة ليست مجرد وسيط قادر على تمثيل واقع خارجي متمرس بشكل مستقل أو للتعبير عن الذات المختبرة. اللغة ترسم تجربة مشاعرنا "الخام"، نستشعر ما حولنا من أحداث ونصبغها المعاني والقيم بما اكتسبناه لغويا، فنحن نتكلم عن الوقائع لنحدد سياقاتها وفق منظورنا، كما نتخذ منها موقفا حسب ما ورد إلى مسامعنا. وأبلغ مثال ما تلعبه وسائل الإعلام اليوم من خلق للرأي العام وتوجيهه عبر اللغة والتناول اللغوي عبر تحليلات الخبراء والمختصين ما يؤثر على نظرة واتجاهات المتلقين تجاه الواقع والأحداث التي تصنعه.

لا يمكن للواقع أن "يصحح" لغتنا، لأن الواقع الذي نعيشه محدد باللغة. وكان الأمر أكثر وضوحا مع "هايديغر" عندما رأى أن "فـي الفكر على الوجود أن يأتي الى اللغة. واللغة هي مأوى الوجود، حيث يقيم الإنسان" (مارتن هايدغر، 1998). إن معرفتنا بالعالم وأنفسنا لا تتم فقط عن طريق الوساطة اللغوية، ولكن يتم تشكيلها بدقة من خلال الكلمات التي لدينا ونعرف كيفية استخدامها (Menachem, 2008). وبذلك نحن لا نجادل بأن الواقع ومن خلاله هويتنا موجودة

فقط ككلمات أو معاني واردة في الرموز المنطوقة أو المكتوبة، بل بالأحرى إن هذا مدعاة إلى تناولها كنظم إشارات معقدة، والتي يمكن تحليلها من خلال تتبع الشكل اللغوي. فاللغة تولد الهوية على النحو التالي، أولا تجرد اللغة عالم التجربة إلى كلمات، والالتقاء باللغة يجعلنا نتعالى عن التجربة الآنية البسيطة والانغماس في تيار التجربة. وهذا يمكننا من تشكيل تصور للذات بدلا من أن نكون مجرد ذوات (جون جوزيف، 2007، ص 19).

وهكذا تتشكل الهوية بالتموضع في العالم وبين الذوات وإدراكها له لغويا، من خلال علاقتها بالهويات الأخرى ضمن سياق تاريخي وثقافي معين. بحيث تتحدد بخصائص معلومة تبرزها كلما اعترضتها مواقف اتصالية، لتشكل محكا لتبين مدى تثبت هذه الخصائص ووضوحها. مما يحملنا على القول بأن وجود الآخر هو إرساء للذات في وعي المتكلم بل إننا لن نتمكن من فهم الذات إلى بمقابلتها بالآخر اللغوي، فنحن لا نستطيع معرفة معنى "الأم" كوجود في اللغة إلا من خلال العلاقة السياقية داخل الاسرة التي تستلزم "الأب" وكذلك "الابن" و "الابنة"، يمكننا فقط رؤية شخص ما على أنه مثيلنا في معارضته المشروطة لغويا لما هو آخر، ويمكننا ذلك من تفسير تمظهر الهوية فيما يتعلق بالفرد داخل الجماعة من جهة والأشكال التاريخية للبنى الاجتماعية من جهة أخرى. ولقد ساهمت هذه النظرة في انتاج مجتمعات أكبر كدول وقوميات ترى وجودها المشترك وتمايزها من خلال اللغة ما دفعها إلى التفرد كجماعة بكيان معنوي موحد في شكل دول على غرار ما حدث في الفترة الرومانسية مع الوحدة الألمانية كأبرز النماذج في نشأة الدولة القومية القائمة على اللغة والعرق.

والملاحظ أن تغيرات مست نظرتنا إلى الهوية بعد المنعطف وخاصة في مجال الانثروبولوجيا وعلم اللغة، فتقليديا كان يعتقد أنها ظاهرة ثابتة أو تمثل وحدة واحدة بجوهر معلوم. لكن مؤخرًا لم تعد الهوية كذلك وصارت تُتَنَاوَلُ بخصائص مغايرة تقدمها كظاهرة تتميز بالمرونة والتعدد والتنوع والديناميكية والقابلية للتغيير وحتى

بالتناقض. كل ذلك من منطلق الممارسة اللغوية التي تعكس المعاني المحملة ثقافيا للهوية في تكيفها مع الوسط والسياق الذي توضع فيه، فالمواقف التفاعلية لا تستقر على حال بل تأخذ أشكالا وأنماطا مختلفة يتم من خلالها تقديم الذات حسب معايير وقيم بما أفضت إليه العملية الخطابية. وقد تحمل معها تغيرات في المظهر العام للهوية لا تعبر عن الصورة الفعلية الأصلية إنما هي تصرف تلقائي محدود لكن من الممكن أن تستمر لفترة أطول، ذلك ما يحدده الموقف.

2. اللغة والهوية: حصرية العلاقة وجدل الارتباط

تعرضت اللغة والهوية نفسها إلى قدر كبير من التحليل والتدقيق على مدار تاريخ البحوث في مختلف الميادين، وقدمت العديد من النتائج حول حقيقة العلاقة بينهما وطبيعتها، وقد تباينت الرؤى بين من يقدم اللغة كعامل مهم في تحديد وبناء الهوية وبين من ينفي هذه العلاقة والتي تعتبر عرضية مقابل أهمية عوامل اجتماعية وثقافية أخرى كالعرق والانتساب السياسي والطبقة (Ennaji, 1999). لذلك، كانت حجج النفي تستند إلى أن اللغة ليست في حد ذاتها المُحدِّد الحصري للتجميع الاجتماعي لأن اللغة تتشابك مع مؤشرات أخرى لعضوية المجموعة، وإلى كون الهوية تخضع لعمليات تشكل بمنطلقات ثقافية متعددة سواء من داخل المجموعة ذاتها أو خارجها ولا تملك رابطة أحادية وحيدة، فالدين والعادات والبيئة الجغرافية والطبقة الاجتماعية وطبيعة العمل والعرق والجنس وغيرها مرتبطة بالهوية وتعمل مجتمعة على تعريف الفرد والجماعة. من وجهة نظر "بيليج"، "يمكن العثور على الهوية في عادات الحياة الاجتماعية المتجسدة، بما في ذلك عادات التفكير واستخدم اللغة" (Michael, 1995, p. 8)

وتجدر الإشارة أيضا إلى أنها تعمل على إحداث تصنيفات فئوية كلما أخذت بمعزل عن غيرها أو برزوها متفردة بتأثير الموقف، فالناس لا يقدمون حالة تجانس أو اختلاف مطلقة إلا بتقديم مؤشر على آخر. وبذلك تكون "اللغة لها مكان معقد في عمليات تشكيل الهوية. إنها تحتل مكانًا في قائمة الأشياء التي "يملكها" الفرد عندما يكون

"لديه" ثقافة. لكن الرابط ليس ضروريًا، فهو ليس دائم، وعندما يكون موجودًا، قد يشير أو لا يشير إلى الانتماء" (Bonnie, 2008, p. 264).

على الرغم من العلاقات المتبادلة التي قد تربط بين الاثنين، فإن "الهويات" و "اللغات" ليست هي نفسها، ولا تنتمي إلى نفس ترتيب الأشياء. قد توجد اللغات في غياب إحساس قوي بالهوية، وقد تكون هناك هويات لا علاقة لها باللغة. إذا لم يكن لمجموعة من البشر اتصال مع أفراد آخرين من مجموعات مختلفة، فلن يعتمد التمثيل الذاتي الجماعي لتلك المجموعة على التباين مع مجموعات أخرى ذات سمات مختلفة، بل على النقيض من ذلك، عند الاقتضاء مع عناصر أخرى من البيئة المحيطة. وبالتالي، قد يكون هؤلاء الأشخاص غير مدركين لكيفية تحدثهم لأن هذه ستكون ظاهرة تلقائية وعادية تمامًا، مثل أي عادة بيولوجية يمارسها الانسان يوميا، وهو شيء لا يتطلب اهتمامًا واعيًا. في حالة الإتصال، قد يكون أيضًا أن السمة الأساسية التي تعتقد الجماعات أنها تميزها عن بعضها البعض ليست اللغة، التي قد تشاركها أو لا تشاركها، بل المعتقدات الدينية أو لون البشرة أو البنى السياسية. لذلك، "اللغة" و "الهوية" ليست بالضرورة ظاهرتين مرتبطتين. (Boada, 2012, p. 103)

ولو تراجعنا قليلا والتفتنا إلى اللغة فسنلحظ أنها ليست سوى تعبير لفظي عما هو موجود في الأصل، فهي قد تكون مجرد انعكاس لكيان مكتمل الصفات تحدده عديد العوامل الثقافية يمارس الفرد من خلالها وجوده في البيئات الاجتماعية المختلفة. ويوضح "كامرون" بأن استعمال الأفراد للغة يعكس خصائصهم الديموغرافية وانتماءاتهم الاجتماعية، ويؤكد على أن هذه الخصائص أسبق من اللغة وأن اللغة تأتي كانعكاس لما سبق:

"بوعي أو بغير وعي، يستخدم المتحدثون الكلام للإشارة إلى شعورهم بأنفسهم على أنهم ينتمون إلى المجموعة أ ويختلفون عن المجموعة ب. في كلا الحسابين، يُفترض ضمنيًا أن الفئات والهويات ذات الصلة موجودة قبل اللغة، وهي ببساطة " معلَّمَة " ‘marked’ أو " منعكسة " ‘reflected’ عندما يأتي الناس لاستخدامها" (Cameron,

1995, p. 15). وهو نفس ما طرحه تعريف الهوية لـ " Bean and Johnstone" حيث اعتبرا الهوية تتشكل بتجاربنا وذكرياتنا، والأهم من ذلك، عبر إسقاط تجاربنا وذكرياتنا تلك على طرقنا في التعبير عن ذواتنا. ثم يتعين على الأفراد اللجوء إلى جميع مواردهم اللغوية للتعبير عن هويتهم (Bean & Johnstone, 2004, p. 237). أي التعبير عما هو موجود ومُعَرَّف، كان قد تشكل واصطبغ وفق مسارات التنشئة والتغيرات الاجتماعية ككيان متفرد أو جماعة ممتدة.

ولم تفلح هذه النظرة في إبعاد اللغة وفصلها عن الهوية بشكل مطلق وعرفت بعض الارتباك والتلكؤ وأقصى ما استطاعته هو تغليب وجهة نظر أكثر شمولية ترى بتعدد المدخلات في تركيبة الهوية بحيث لا يمكن الجزم بغلبة عامل على آخر. لكن العلاقة أقوى وأكثر وضوحا في الواقع، وهي محل اثبات حتى لدى المعارضين بالنظر لطبيعة اللغة من جهة والهوية ذاتها من جهة أخرى، فاللغة كمنطلق كما يقول "باختين"، ليست "محايدة" مجرد كلمات وأشكال تنتمي إلى "لا أحد"؛ وهي بالنسبة لأي وعي فردي ليست نظامًا تجريديًا للأشكال المعيارية بل هي مفهوم للعالم، وجميع الكلمات تمثل شيئا ما أو شخصا معين (Bakhtin, 1981, p. 293). وبالتالي تتمايز الهوية ظاهريا لأي شخص عبر اللغة، عبر الصوت والمفردات والتعابير والاشارات اللغوية التي يقدم من خلالها نفسه إلى الآخر ولا يمكن تخطي ما ينطبع في ذهن المتلقي من مدركات وأحكام حول ماهية المتحدث، التي قد تكون مطابقة تماما لما أراد تبليغه عن قصد أو عن غير قصد في ممارسته الخطابية تلك. لذلك أبسط ما نستشفه من أي موقف خطابي هو هوية من نكلم في مقابل هويتنا. ولو سلكنا مسارا عكسيا انطلاقا من الهوية، فنجد أنها لا تتمظهر إلا من خلال المواقف والسلوكات الفردية والجماعية في السياقات الاجتماعية والتي لن تنفلت حتماً عن سطوة الممارسة اللغوية. حيث تتجلى التماثلات والاختلافات، التي يحرص عادة المتشاركون على إبرازها لأغراض التحديد والتمايز. ويؤكد في هذا الإطار "كيسلنج" على كيفية ظهور الهوية من خلال التفاعلات، مع الإشارة أيضًا إلى أن هذه التفاعلات تلعب في الوقت نفسه دورًا متبادلًا في بناء الهوية:

"يتم إنشاء وإعادة إنشاء الهويات عندما يتكلم المتحدثون فعليًا مع بعضهم البعض، لكن الطريقة التي تظهر بها هذه الهويات تتوقف على الخطابات الاجتماعية والثقافية والأيديولوجيات للمتحدثين ... نظرًا لأن الهويات علائقية، فليس للشخص هوية واحدة ثابتة، وحدها الهويات مبنية ولها سياق في التفاعل (وبقدر ما تكون الهوية حقيقية من الناحية النفسية، تستند إلى تصور الذات لمكانها في نماذج تفاعلية نفسية) (Kiesling, 2006)

في الحقيقة هناك نوعان مختلفان من الروابط بين أي مجموعة اجتماعية ولغتها. في الغالب لا يتم الفصل بينهم في مدركات الملاحظين الخارجيين أو حتى في أذهان المتحدثين أنفسهم. وتميز "نانسي دوريان" بين وجهين لبروز هذه العلاقة، فاللغة تعمل كدليل هوية مثل الزي التقليدي أو المطبخ الخاص، وتحدد الأشخاص الذين ينتمون إلى مجموعة معينة. وهي لا تعد كونها واحدة من مجموعة لا نهائية تقريبًا من علامات الهوية المحتملة، ويتم استبدالها بسهولة بعلامات أخرى تتسم بنفس الفعالية. أما في الوجه الآخر للعلاقة لا يمكن استبدالها بسهولة. على الرغم من أن العديد من السلوكيات يمكن أن تحدد الهوية، إلا أن اللغة هي الوحيدة التي تحتوي بالفعل على محتوى ثقافي واسع النطاق. الأصوات المميزة المنطوقة في التحدث بلغة معينة تشفر المعنى، ويصبح الارتباط بين المجموعة واللغة أكثر أهمية على هذا المستوى. (Dorian, 1999, p. 31).

هذه المقاربة التي تنظر إلى العلاقة بين اللغة والهوية باعتبارها تبادلية التكوين للطرفين بطريقتين على الأقل. من ناحية، توفر اللغات، أو بالأحرى خطابات معينة داخلها، المصطلحات والوسائل اللغوية الأخرى التي يتم بها بناء الهويات والتفاوض بشأنها. من ناحية أخرى، فإن أيديولوجيات اللغة والهوية ترشد الطرق التي يستخدم فيها الأفراد الموارد اللغوية لفهرسة هوياتهم وتقييم استخدام الموارد اللغوية من قبل الآخرين (Pavlenko & Blackledge, 2004, p. 14). ولن يكون هذا الارتباط ذا معنى إلا بإعادة صياغة معاني الهوية، فالهوية بمراسي ثابتة قد تتلاشى أمام صفات التغير وعدم الثبات، فبهذا التشكل

اللغوي لا يمكن أن تستقيم على حال بالنظر لاختلاف الممارسة وتباين المواقف الاتصالية ما يعكس هوية إحتمالية تعمل دوما على مواءمة الموقف، مما قد يظهرها بشكل مغاير في موقف آخر. وننتقل بذلك من معنى العلاقة العام إلى الحديث عن عرض وتقديم الهوية.

3. الذات المتكلمة وعرض الهوية

"يشير مصطلح موضع الذات إلى الطريقة التي يعرض بها الشخص نفسه ويمثلها خطابيًا ونفسيًا واجتماعيًا وثقافيًا من خلال استخدام الأنظمة الرمزية" (Kramsch, C. 2009, p 10). كانت هذه فكرة كلير كرامش حول الهوية وكيف هو التصور العام لها وفق الممارسة اللغوية، ويشترك فيها العديد من المفكرين، بل منها ما هو أكثر راديكالية، كما افترض "إيان تشامبرز Iain Chambers" أن الهوية لا وجود لها بشكل مستقل عن اللغة، لكنها تبرز كمجموعة من التمثلات أو "القصص الخيالية" ‘fictions’ التي تبنى في الخطاب اليومي، حيث يعيد المتفاعلون "اختراع" أنفسهم والآخرين باستخدام اللغة كأداة للبناء الثقافي. والمتفاعلون هم في الوقت نفسه مؤلفون ومؤدون لـ "قصص" هويتهم الخاصة والتي يقومون بتطويرها وأداءها من خلال أنشطتهم اليومية (Bierbach & Birken-Silverman, 2007, p. 122). وبنفس المنطلقات اللغوية اعتبر "ريتشارد باومان" الهوية على أنها:

"النتيجة المحددة لعملية بلاغية وتفسيرية يقوم فيها المتفاعلون لدوافع ظرفية باختيارات من ذخيرة لموارد تعريفية وانتسابية مكونة اجتماعياً، وصياغة هذه الموارد السيميائية في متطلبات الهوية لعرضها على الآخرين" (Bauman, 2000).

لقد تبين بأن تعدد عناصر الهوية مع تباين حالات المواجهة الكلامية وما تبرزه مآلات العملية التفاوضية يؤثر في صور الهوية

الظرفية ما يدفعنا إلى القول بتعدد أوجه الهوية، حيث يعمد المتحدثون كما وضح ذلك "باريت" "إلى زيادة أو تقليص العروض اللغوية التي تشير إلى جوانب مختلفة من هوياتهم وفقًا لسياق الكلام والأهداف المحددة التي يحاولون تحقيقها. . . لذا يمكن للمتحدث استعمال قيم الفهرسة في اللغة لتموضع الذات داخل هوية معينة خلال لحظة تفاعلية معينة. تشير هذه الممارسة إلى أن المتحدثين ليس لديهم "هوية" واحدة بل بالأحرى شيء أقرب إلى ما دعاه بول كروسكريتي Paul Kroskrity "ذخيرة الهوية" repertoire of identity، حيث يمكن مواجهة أي من تعدد الهويات في لحظة معينة. إذ نستقي من هذه الذخيرة ما يناسب الموقف لنظهر صورة عن أنفسنا تتفاعل مع الواقع الآني بما يخلق التوافق أو الاختلاف مع الذات المقابلة وفي الغالب هي المحدد الأبرز لهذه الصور التي نصنعها، لتنطلق في شكل تعابير واستعمالات لغوية تعزز هذه الصورة عن الذات وعن الآخر. وهو ما يقودنا كما ذكر "نينيو مورسيا وروثمان" إلى أن ننظر إلى الهوية على أنها نتيجة لعمليات التقديم الذاتي، والتي تظهر اجتماعيًا في سياق لقاءات الشخص مع الآخرين (Niño-Murcia & Rothman, 2008). فالمتفاعلين يستخدمون الميزات اللغوية لإظهار هوية محددة في سياق معين حيث تعمل اللغة كمؤشر على السمات المرتبطة بالهوية في لحظة الالتقاء.

في الآونة الأخيرة، استحضر "بافلنكو وبلاكليدج" هذه المفاهيم في مناقشتهم للتفاوض بشأن الهويات في سياقات متعددة اللغات. في حين أن فكرة التفاوض عن حق تنقل شعورًا بالاعتراف بوجود عرض لهويات متعددة، يبدو أنها تؤيد ضمنيًا وفي نهاية المطاف فكرة الهوية الواحدة حيث تظهر هوية مفضلة في ختام التفاوض. فهم يصورون الهويات على أنها "خيارات اجتماعية وخطابية وسردية يقدمها مجتمع معين في وقت ومكان محددين يلجأ إليهم الأفراد والجماعات في محاولة لتسمية الذات self-name وتوصيف الذات self-characterize والمطالبة بالفضاءات الاجتماعية والامتيازات الاجتماعية " (Pavlenko & Blackledge, 2004, p. 19). وقد سعى في مسار آخر كل من Le Page and Tabouret-Keller إلى تبيان

نموذجهما للسلوك اللغوي ليحمل في الاخير صياغة جديدة عبرا فيها عن هذا السلوك كأفعال الهوية. في هذا الإطار، وجها الاهتمام إلى اعتبار استخدام الأفراد للغة على أنه "يكشف [عن] هويتهم الشخصية وبحثهم عن الأدوار الاجتماعية. فبالنسبة لأي حالة هوياتية معينة قد ندرسها، فلن تكون هناك طريقة واحدة للاستعمال اللغوي تشير إليها، بدلاً من ذلك، سيكون هناك مجموعة من طرق التحدث المناسبة توافق تعقيدات بناء الهوية من قبل الأفراد، تستقيها من مجموعة الموارد التي يستمد منها أعضاء مجتمع الكلام الأدوات اللغوية التي يحتاجونها (Fought, 2006).

وفكرة "عرض الذات" يمكن أن نستشفها ضمنيا فالتفاوض أو أفعال الهوية تفترض تقابل هويات وانكشافها أمام بعضها البعض في موقف محدد حيث تتعرف وتعرف ذواتها لأغراض معينة، لكنها تقف صريحة لدى "إرفينغ غوفمان" (Goffman, 1959) حيث قدمها وصاغها وفق مقاربة تعتبر الهوية سائلة يكون بها الفرد في الحياة اليومية في صدد تقديم عرض يعبر به عن ذاته مقابل ذوات أخرى مشاركة في العرض. وهو ما يفترض مقابل تلك الطبيعة السائلة والمتعددة الأوجه للهوية قدرة الأفراد على الانتقال بينها من خلال تغيير أفعالهم استجابةً لطلبات واحتياجات العروض المقدمة أثناء التفاعل، والتي تصبح بدورها أفعال تعبر عن هوية محددة في لحظات معينة.

وإذا فكرنا في المحاذاة كمواضع للذات فيما يتعلق بمجموعة من الصور أو الخصائص الاجتماعية التي يتم تقييمها ضمن إطار من معايير المجتمع واتفاقياته، فيمكننا أن نفهم كيف يكون الشخص نفسه من لحظة إلى أخرى قادرًا على ذلك، وقد يحتاج، لإظهار مختلف "الذوات" حسب ما يراه مناسبًا. ويحمل هذا التقديم للذات معاني أخرى في حالات التعدد اللغوي تستند إلى الكفاءة الاجتماعية وتحقيق التوقعات داخل وخارج المجموعة لغويا. فعلاوة على الحاجات الاتصالية، من الممكن أن يلجأ الفرد إلى تبديل اللغة لعرض هوية تنزع إلى التجانس مع هوية المُحَاوِر. فيكون هذا التبديل حاملا لقيم

شبه سيميائية تعمل على نقل الإحساس بالتضامن، كما تسمح للمُحاور بمعرفة أنه " أنا لست (س) فحسب، بل أنا أيضًا (ع)". فيكون التبديل تشكيل رمزي للهوية التي نريد أن نعرضها في وقت معين داخل تلك المجموعة (Niño-Murcia & Rothman, 2008, p. 17).

لكن هذا العرض عبر تبديل الرمز اللغوي لا يخضع بالضرورة لمعاني التجانس والمواءمة كي تحكمه علاقات التوافق والامتثال، فالهويات قد تكون محل تنافس تكون فيه مجبرة على إظهار غنى رأس مالها الرمزي، في بعض الأحيان هو عرض قوة أو هيمنة لتأكيد تفوق هوية بعينها، وسيلته اللغة. وقد وضح "بولونياي" مثلا في دراسة أجريت على فتيات ثنائيات اللغة، كيف أنهن يستخدم مواردهن اللغوية عن طريق التبديل إلى اللغة الإنجليزية بشكل مقصود واستراتيجي لإظهار قوتهن ووضع أنفسهم في موقع مُهَيْمِن. "فالانجليزية تمكن الفتيات من تعزيز رأس مالهن الثقافي ويستعملنها لبناء مكانة وهيمنة رمزية (Bolonyai, 2005, p. 18). "

وبالعودة لمناقشات فكرة التفاوض يصبح في المقابل لكل جماعة متماثلة طرق كلام تمارس من خلالها هويتها كفعل يُظْهِر تمايزها وتفردها أمام جماعات أخرى تشكلت على نفس النمط، وتتكون شخصية قائمة أساساً على التأمل الذاتي وتصنيف الآخر وفق عمليات البناء الاجتماعي خاصة أثناء المواجهات الكلامية، حيث يظهر بدوره بأفعاله الكلامية كنقيض احتمالي. فيصبح الاهتمام بالذات متوقف على مدى الحفاظ على صور الهوية في حضور هذا المقابل المتكلم الذي يحاول بسط سماته، والعملية في مجملها متبادلة بين الذوات المتصلة وتسري في الاتجاهين، ما يدفع إلى التفاوض الذي أشار إليه "ستيلا تينج-تومي" وعرفه على أنه "التبادل اللفظي وغير اللفظي لرسائل بين متصلين أو أكثر بغرض الحفاظ على، أو تهديد، أو رفع مستوى مجموعة اجتماعية أو ثقافية أو شخصية فريدة لصور هوية الآخر" (Bennett, 2015, p. 418). وكثيرة هي المواقف التي يمكن أن توضح لنا ذلك فتبديل اللغة مثلا واستحضار اللغة الأجنبية الأقوى أو الارتقاء بمستوى أعلى في الاستعمال اللغوي في ثقافة أي

بلد هو نوع من الاستعلاء وإظهار القوة أمام الآخر، والتقدم أشواطا في بسط الهيمنة ظرفيا.

والمهم أيضًا هو أن أهمية ما يعنيه أن نكون شخصا معينا نحمل عددا متزايدا من السمات تطفوا عبر ممارستنا اللغوية، والتي يمكن أن نوصف بها بحيث يخيل لنا أنها لا تكتمل أبدا وغير متناهية. فقد نتحدث كآباء، عمالا، كهولا، جيرانا، مهاجرين، متدينين، مرضى، رياضيين. وغيرها، فالمجال غير محدود لتوصيفات قد تظهر متفردة أو متزامنة حسب الموقف. وبالتالي تمثل الهوية صورة خطابية لحظية متوقفة عند حالة ظاهرة لا تلبث أن تتغير إلى صورة أخرى يفرضها تغير الموقف. علاوة على ذلك، فإن الهويات متعددة ومتراكبة يمكن ربطها بهويات أخرى. بهذا المعنى، يمكن أيضًا أن ننتقل في آن واحد بين مختلف الصور الاحتمالية للهوية. وهذا ما حمل "هول" على القول بأن الذات لا تتكون من هوية واحدة بل من عدة هويات متغيرة، متناقضة أحيانًا، بدون هوية كجوهر:

"تفترض الذات هويات مختلفة في أوقات مختلفة، هويات ليست موحدة حول "ذات" متناسقة. في داخلنا هويات متناقضة، تسحب في اتجاهات مختلفة، بحيث يتم تغيير هوياتنا باستمرار. إذا شعرنا أن لدينا هوية موحدة من الولادة إلى الموت، فذلك فقط لأننا نبني قصة مريحة أو "سرد الذات" عن أنفسنا (Hall, 1992, p. 277).

إن الاستدلال على عدم ثبات الهوية التي ندركها ونعرضها بشتى الطرق أمام الآخرين، واضح المعالم في حياتنا اليومية ولو نسبيا في بعض الأحيان، فتعاير السياقات والمواقف هو بالنسبة لنا تحول في حالات هوياتية نوظفها في كل مرة حسب المتغيرات الحاصلة. فلا يمكن لأب مثلا أن يتصرف في أسرته بما هو عليه في وظيفته مثلا، ولا يمكن بأي حال أن ينظر المرء إلى الخلف ولا يلحظ التغير في بعض سماته ويعض مواقفه تجاه بعض القضايا. وهذا ما يقودنا ضمنيا إلى تقبل شيء قد يغير من مفاهيمنا حول الهوية فهي ليست ذات جوهر أي أنها لا تتركز في سمة واحدة ثابتة تتعرف بها الذات، وتكون كل ممارسة لغوية هي استعراض لذات بهوية محددة مرتبطة

فقط بالموقف، نتخلى عنها بمجرد التحول إلى موقف آخر. فأوضح ما يقرب لنا الفهم في هذه الحالة هو النظر في تشكل الهوية وتحولها لغويا إن ثبت غياب جوهر بشدها إلى الاستقرار.

4. اللغة وبناء وإعادة بناء الهوية

اتخذت معظم الأعمال الحديثة حول اللغة والهوية منظورًا يرى الهوية شيئًا ديناميكيا متعدد الأبعاد في تغير مستمر. فالهوية، كما يقول كاميرون: "ليست شيئًا ثابتًا ومستقرًا وموحدًا يكتسبه الأفراد في وقت مبكر من حياتهم ويمتلكونه إلى الأبد بعد ذلك" (Cameron, 2001, p. 170). وقد تتغير الهوية وتتعدد في تكيفها مع البنى الاجتماعية التي تتفاعل داخلها، فهي تتمركز حول بعض البرامترات كالجنس والاثنية والطبقة الاجتماعية والمهنة وغيرها لتتشكل وفقها. والقول بالتمركز ليس إقرار بالنزوع للثبات، إنما هو إشارة لمجالات وحدود الحركة المكانية والزمانية للهوية في تمظهرها الاجتماعي تُعَرَّف من خلاله كموضوع وذَاتٍ بسمات معينة. وفي الوقت الذي نقر بتكيف الهوية بالتفاعل الاجتماعي، نقف على حقيقة تأثيرها في هذه البنى أيضا، فإنها كما يذكر "ديفيد بلوك" في نفس الوقت تُكَيِّفُ التفاعل الاجتماعي والبنية الاجتماعية. لذلك باختصار، يمكن القول أنها "تتشكل من، وتشكل البيئة الاجتماعية" (Block, 2010, p. 26).

ولم تعد هذه المعلمات ثوابت، كما ذكرنا، نقوم من خلالها بإنشاء هوياتنا الاجتماعية الخاصة، حيث فتح النقاش حول اللغة عدة طرق مهمة لإعادة التفكير في الهوية. إذ توضح دراسة اللغة كخطاب تفاعلي أن هذه البرامترات ليست ثوابت يمكن اعتبارها أمرًا مسلمًا به ولكن يتم إنتاجها تواصليا. لذلك، "لفهم قضايا الهوية وكيف تؤثر وتتأثر بالانقسامات الاجتماعية والسياسية والعرقية، نحتاج إلى الحصول على رؤى حول العمليات التواصلية التي تنشأ من خلالها" (Gumperz & Cook-Gumperz, 1982, p. 1). ويصبح التفكير في العلاقات بينها وبين الهوية هو تفكير في العمليات التواصلية التي

تتحدد من خلالها القوة المؤيدة للغة في تكوين الهوية بدلاً من كونها بنية مسبقة تنعكس في استخدام اللغة (Pennycook, 2004, p. 13). ونحن بذلك ندافع عن القيمة التحليلية لمقاربة الهوية كظاهرة تفاعلية واجتماعية ثقافية تستند إلى الموارد الرمزية الأكثر مرونة لإنتاج الهوية، وتسمح لها بالظهور والانتشار في سياقات الخطاب المحلي للتفاعل، بدلاً من بقائها بنية مستقرة تقع في المقام الأول في النفس الفردية أو في الفئات الاجتماعية الثابتة (Bucholtz & Hall, 2010, p. 18).

فالهويات تتطور وتتغير خطابيا وهذا يحملها على الظهور بصيغ متعددة، وحالات الظهور تلك إن لم تكن في الواقع فهي على الأقل متعددة الأوجه. اتساقها واستمراريتها ليست سوى بناءاتنا، التي تفرضها مفاهيمنا الثقافية لأنواع الذات الطبيعية وغير الطبيعية في مجتمعنا (Lemke, 2008, p. 19). فهي شيء ما يقوم الناس ببنائه وإعادة بنائه باستمرار في مواجهاتهم مع بعضهم البعض في العالم... ونحن نقوم بـ (أ)، (ب) و (ج) لأننا (س)، (ع) و (ص). بعض المنظرين يؤكدون أن ما يحدث حاليا هو العكس فنحن من خلال قيامنا بـ (س)، (ع) و (ص) نصير أو نبني ذواتنا كـ (أ)، (ب) و (ج)" (Cameron, 2001, p. 170). وبناء الهوية هو عملية يستخدم من خلالها الأفراد موارد رمزية مختلفة لعرض هوياتهم المرغوبة أو الهويات المفروضة عليهم، وهذا ما يتجلى أكثر في مجتمعاتنا الحديثة حيث تعرض العولمة خيارات متعددة أمام الأفراد تجعلهم في كل مرة أمام تحد وجودي قد يعزز شعورهم الهوياتي ويدفعهم إلى إبرازه أكثر أو يشكك فيه فينزعون إلى التخلي عنه والتماهي في قالب هوياتي آخر، وليس الأمر قطعيا فقد تتغير المواقف والأطر الثقافية فيتبدل معها النمط والذات المعروضة، وقد تعود لما كانت عليه.

على الرغم من، أن الهويات يمكن أيضًا أن تنشأ من المؤسسات المهيمنة، فإنها تصبح هويات فقط عندما يستوعبها الفاعلون الاجتماعيون، ويبنون معانيها حول هذا الاستيعاب (Castells, 2010, p. 7). فالقوة والوعي الفردي هنا هي اللغة. واللغة هي المكان الذي

يتبنى فيه ذاتيتنا وإحساسنا بأنفسنا. والافتراض بأن الذات مبنية يعني أنها ليست فطرية، وليست محددة وراثيًا، إنما هي منتج اجتماعي. يتم إنتاج الذاتية في مجموعة كاملة من الممارسات الخطابية - الاقتصادية والاجتماعية والسياسية - التي تكون معانيها موقعًا ثابتًا للصراع على السلطة. اللغة ليست التعبير عن الفردية المتفردة؛ إنها تبني الذاتية الفردية بطرق محددة اجتماعيا. علاوة على ذلك، بالنسبة لما بعد البنيوية على وجه الخصوص، فإن الذاتية ليست موحدة ولا ثابتة. على عكس النزعة الإنسانية، التي تنطوي على ذات واعية معروفة وموحدة وعقلانية، فإن النظرية ما بعد البنيوية تُنظِر إلى الذاتية كموقع للانقسام والصراع، وهو أمر مركزي في عملية التغيير السياسي والحفاظ على الوضع الراهن (Weedon, 1993, p. 21).

تعمل اللغة إذا كقوة تنظيمية للضغط على الأفراد حتى يتوافقوا مع أنماط الكلام والسلوكات المعتمدة اجتماعيًا، والتي تلقن غالبا داخل المؤسسات الاجتماعية، حيث يمكن ملاحظة التأثيرات التنظيمية للخطاب على بناء الهوية ضمن هذه الأوساط. على سبيل المثال، اللغات الأم لها وظائف اجتماعية مرتبطة أساسًا بالهوية والحياة اليومية والأسرة والأصدقاء، وهي مهمة لبناء الهوية من خلال دورها الرمزي إذْ تمثل العناصر الثقافية التي تؤثر عبر التنشئة الاجتماعية على الهوية الأولى للأفراد، وتساعد لاحقا في تشكيل شخصيات الناس وطريقة التفكير لديهم وبالتالي تحديد الأشخاص والمجموعات وفق خصوصيتها وثقافتها وأيديولوجيتها؛ مقارنة بغيرها (Ennaji, 2005, p. 24). وفي سياق الفصل الدراسي، تستكمل عملية البناء بإخضاع الطلاب لمجموعة من الخطابات المؤسسية التي تقدم المعرفة حول "كيف تكون" من حيث الكلام والسلوك وتعلمهم علاقات المعلم والطالب. لكن بالطبع، ليست كل الخطابات منظمة أو معتمدة مؤسسيا. سيتم أيضًا تكوين الخطابات المتنافسة أو المقاومة بواسطة أنظمة قيم النظراء، وستحكم جزئيًا هويات النظراء وعلاقاتهم داخل وخارج الفصل الدراسي. سوف تتداخل هذه الخطابات مع الخطابات المجتمعية الأوسع نطاقًا، والتي تشمل وجهات نظر متنافسة، بشأن العمر والجنس والعرق والطبقة وما شابه (Baxter, 2016).

فبناء الهوية يستلزم عملية تعريف ذاتي وتحيين مستمر (Guibernau, 2013 , p. 17). تتدخل فيه مختلف الفعاليات الاجتماعية والثقافية التي تعمل على إعادة انتاج النمط الهوياتي السائد داخل المجتمع الممتد أو الجماعة الفرعية، عبر اللغة والممارسات اللغوية اليومية أو الظرفية التي تعكس الصورة المدركة ذاتيا لهذه الهوية. فتصبح الهوية بناء خطابي متحول باستمرار في السياقات المحلية التي يدخل فيها الفاعلون الاجتماعيون. ويتضح كذلك أنه بقدر ما نظن أن بناءاتنا الذاتية هي ملكنا وأننا متحكمون بها، فنحن دائمًا ما نعتمد على ما نقف عليه آنيا من موارد رمزية متاحة اجتماعيًا وغالبا ما تكون هي اللغة فنبني بها تجربتنا التي نؤكد من خلالها معالم أنفسنا والواقع المحيط بنا.

5- ملامح البراديغم اللغوي لفهم الهوية:

لقد سمح هذا التأصيل لمفهوم الهوية ببروز الممارسة اللغوية كوسيلة لصياغة مفهوم الهوية، فصارت مُنْتَجاً بنيوياً مُمَارَس أو معروض في كل المواقف التفاعلية يغلب عليه التغير، وينفي هذا الطرح حالات الثبات اذ لم تعد مجرد موقف أو حالة موقوفة ثابتة، تحمل من السمات الثقافية والاجتماعية ما يعرضها ككيان منفصل مُتَمَوْضِع في حيز علائقي بين كيانات أخرى مغايرة. والأكثر من ذلك، أنهً يمكن لهذه الهوية أن تنتقل من عرض إلى آخر تقدم من خلاله سمات مغايرة حسب سياقات الاستعمال اللغوي وبما تقتضيه الحاجة. فتعدد عناصر الهوية مع تباين حالات المواجهة الكلامية وما تبرزه مآلات المواقف الخطابية تؤثر في صور الهوية الظرفية ما يدفعنا إلى تقبل نظرة تعدد أوجه الهوية.

قد توجد اللغات في غياب إحساس قوي بالهوية، وقد تكون هناك هويات لا علاقة لها باللغة. لكن مجرد كون المجموعات البشرية على اتصال، كفيل بإبراز دور اللغة كعامل تحيز للهوية، أو أكثر من ذلك تجلي علاقة ارتياطية تضع اللغة في صميم عمليات بناء الهوية. وقد

استبعدت الكثير من الآراء هذا الدور للغة لكنها لم تفلح في إبعاد اللغة وفصلها عن الهوية بشكل مطلق، وعرفت بعض الارتباك والتلكؤ، وأقصى ما استطاعته هو تغليب وجهة نظر أكثر شمولية ترى بتعدد المدخلات في تركيبة الهوية بحيث لا يمكن الجزم بغلبة عامل على آخر. مما فتح المجال للتوسع في الكشف عن ابعاد هذه العلاقة وآليات عمل اللغة في بناء الهوية.

ولن يكون هذا الارتباط ذا معنى إلا بالتدقيق في مفهوم الهوية وإعادة صياغة معانيها، فالهوية بمراسي ثابتة قد تتلاشى أمام صفات التغير وعدم الثبات، خاصة مع التغيرات الحاصلة في فهم العديد من المصطلحات مع كثافة الاتصال والاحتكاك الثقافي وتعدد الممارسات اللغوية. فأي تشكل لغوي لا يمكن أن يستقيم على حال بالنظر لاختلاف الممارسة وتباين المواقف الاتصالية ما يعكس هوية احتمالية تعمل دوما على مواءمة الموقف، مما قد يظهرها بشكل مغاير في موقف آخر. وننتقل بذلك من معنى العلاقة العام إلى الحديث عن عرض وتقديم الهوية.

فالهوية قد لا تكون ذات جوهر، أي أنها لا تتركز في سمة واحدة ثابتة تتعرف بها الذات، بالتالي كل ممارسة لغوية هي استعراض لذات بهوية محددة مرتبطة فقط بالموقف، تتخلى عنها بمجرد التحول إلى موقف آخر. فأوضح ما يقرب لنا الفهم في هذه الحالة هو النظر في تشكل الهوية وتحولها إن ثبت غياب جوهر بشدها إلى الاستقرار. فتصبح الهوية بناء خطابي متحول باستمرار في السياقات المحلية التي يدخل فيها الفاعلون الاجتماعيون. ويتضح كذلك أنه بقدر ما نظن أن بناءاتنا الذاتية هي ملكنا وأننا متحكمون بها، فنحن دائمًا ما نعتمد على ما نقف عليه آنيا من موارد رمزية متاحة اجتماعيًا وغالبا ما تكون هي اللغة فنبني بها تجربتنا التي نؤكد من خلالها معالم أنفسنا والواقع المحيط بنا.

خاتمة:

لقد حملت الدراسات الكثير من المفاهيم حول الهوية ضمن حدود اللغة وقد حاولنا تبيان أن الهوية تتشكل بالتموضع في العالم وبين الذوات وإدراكها ليس بجوهرها ولكن بعرضها لغويا، من خلال علاقتها بالهويات الأخرى في السياقات التاريخية والثقافية. حيث تتحدد بسمات ظاهرة ومعلومة تقصد إبرازها كلما اعترضتها مواقف اتصالية، لتشكل محكا يتأكد به تثبت هذه الخصائص ووضوحها.

والتمايز اللغوي ما هو إلا إعلان عن تمايز الهوية ظاهريا، عبر الصوت والمفردات والتعابير والاشارات اللغوية التي يقدم من خلالها الفرد نفسه إلى الآخر ما يولد انطباع في ذهن المتلقي من مدركات وأحكام حول ماهية المتحدث، والتي قد تكون مطابقة تماما لما أراد تبليغه عن قصد أو عن غير قصد في ممارسته الخطابية تلك أو أنها قد تحيد عنه. لذلك أبسط ما نستشفه من أي موقف خطابي هو هوية من نكلم في مقابل هويتنا.

وبذلك تصبح الهوية بناء خطابي متحول باستمرار حسب السياقات التي يتخاطب فيها الفاعلون الاجتماعيون. ويتضح كذلك أنه بقدر ما نظن أن بناءاتنا الذاتية هي ملكنا وأننا متحكمون بها، فنحن دائمًا ما نعتمد على اللغة فنبني بها تجربتنا التي نؤكد من خلالها معالم أنفسنا والواقع المحيط بنا.

المراجع:

- جون جوزيف، (2007): اللغة والهوية (قومية-إثنية-دينية)، ترجمة: عبد النور خراقي، عالم المعرفة.

- مارتن هايدغر، (1998)، رســـالة في النزعة الإنســـانية، ترجمة عبد الهادي

-Bakhtin, M. (1981). *Dialogic Imagination*. USA: the University of Texas Press.

-Bauman, R. (2000, January). *Language, Identity, Performance*. Pragmatics , 1(10), 1-5. doi:DOI: 10.1075/prag.10.1.01bau

-Baxter, J. (2016). *Positioning language and identity Poststructuralist perspectives*. Dans S. Preece, *The Routledge Handbook of Language and Identity* (pp. 34-49). London: Routledge.

-Bean, J. M., & Johnstone, B. (2004). *Gender, identity, and 'strong language' in a professional woman's talk*. Dans R. T. Lakoff, & M. Bucholtz, *Language and Woman's Place: Text and Commentaries* (pp. 237-243). New York: Oxford University Press.

-Beaney, M. (2013). *The Oxford Handbook of The History of Analytic Philosophy*. Oxford : Oxford University Press.

-Bennett, J. M. (2015). *The SAGE Encyclopedia of Intercultural Competence*. United States of America: SAGE Publications.

-Bierbach, C., & Birken-Silverman, G. (2007). *Names and identities, or: How to be a hip young Italian migrant in Germany*. Dans P. Auer, *Style and Social Identities Alternative Approaches to Linguistic Heterogeneity* (pp. 121-154). Berlin: Mouton de Gruyter.

-Block, D. (2010). *Second Language Identities* . New York: Continuum.

-Boada, A. B. (2012). *Language and identity policies in the 'glocal' age: New processes, effects and principles of organization*. Barcelona: Institut d'Estudis Autonòmics, Generalitat de Catalunya.

-Bolonyai, A. (2005, February 11). *'Who was the best?': power, knowledge and rationality in bilingual girls' code choices*. Journal of Sociolinguistics, 9 ((1)), 3–27. doi: https://doi.org/10.1111/j.1360-6441.2005.00279.x

-Bonnie, U. (2008). *Whose Spanish? The tension between linguistic correctness and cultural identity*. Dans M. Niño-Murcia, & R. Jason, *Bilingualism and Identity Spanish at the*

crossroads with other languages (p. 264). Amsterdam / Philadelphia: John Benjamins Publishing Company.

-Bucholtz, M., & Hall، K. (2004). *Language and Identity*. Dans A. Duranti, *A Companion to Linguistic Anthropology*. USA: Blackwell Publishing.

-Bucholtz, M., & Hall, K. (2010). *Locating Identity in Language*. Dans C. Llamas, & D. Watt, *Language And Identities* (pp. 18-28). Edinburgh: Edinburgh University Press.

-Cameron, D. (1995). *Verbal Hygiene*. London: Routledge.

-Cameron, D. (2001). *Working with spoken discourse*. London: SAGE Publications.

-Castells, M. (2010). *The Power of Identity* (éd. Second). USA: Blackwell Publishing Ltd.

-Derrida, J. (1967). *De La Grammatologie*. Paris: Les Éditions De Minuit.

-Dorian, N. C. (1999). *Linguistic and Ethnographic Fieldwork*. Dans J. A. Fishman, *Handbook of Language & Ethnic Identity* (pp. 25-41). New York: Oxford University Press.

-Ennaji, M. (1999). *The Arab World (Maghreb and Near East)*. Dans A. F. Joshua, *Handbook of Language and Ethnic Identity* (pp. 382-395). New York: Oxford univerity press.

-Ennaji, M. (2005). *Multilingualism, Cultural Identity and Education in Morocco*. NY: Springer.

-Fought, C. (2006). *Language and Ethnicity*. Cambridge: Cambridge University Press.

-Goffman, E. (1959). *The Presentation of the Self in Everyday Life*. New York: Anchor Book.

-Guibernau, M. (2013). *Belonging ،Solidarity and Division in Modern Societies*. UK: Polity Press.

-Gumperz, J., & Cook-Gumperz, J. (1982). *Introduction: language and the communication of social identity*. Dans J. Gumperz, *Language and social identity*. Camgridge: Camgridge University Press.

-Gumperz, J., & Cook-Gumprez, J. (1982). *Introduction: language and the communication of social identity*. Dans J. Gumperz, *Language and social identity*. CAMBRIDGE.

-Hall, S. (1992). *The question of cultural identity*. Dans S. Hall, D. Held, & T. McGrew, *Modernity and its Futures* (pp. 273-325). Cambridge: Polity Press.

-Kiesling, S. (2006). *Language and Identity in Sociocultural Anthropology*. Dans K. Brown, *Encyclopedia of Language and Linguistics* (éd. 2, Vol. 5, pp. 495-502.). Oxford: Elsevier.

-Kramsch, C. (2009). *The multilingual subject*. Oxford: Oxford University.

-Lemke, J. (2008). *Identity, Development and Desire: Critical Questions*. Dans C. R. Caldas-Coulthard, & R. *Iedema, Identity Trouble Critical Discourse and Contested Identities* (pp. 17-42). New York: Palgrave Macmillan.

-Meinhof, U. H., & Galasinski, D. (2005). *The Language of Belonging*. NY : PALGRAVE MACMILLAN.

-Menachem, F. (2008). *Taking the Linguistic Turn Seriously'*. The European Legacy, 5(13), 605 - 622. doi:10.1080/10848770802268790

-Michael, B. (1995). *Banal Nationalism*. London:: Sage.

-Niño-Murcia, M., & Rothman, J. (2008). *Spanish-contact bilingualism and identity*. Dans M. Niño-Murcia, & J. Rothman, *Bilingualism and Identity Spanish at the crossroads with other languages* (pp. 11-32). Amsterdam/Philadelphia: John Benjamins Publishing Company.

-Pavlenko, A., & Blackledge, A. (2004). *Introduction: New Theoretical Approaches to the Study of Negotiation of Identities in Multilingual Contexts*. Dans A. Pavlenko, & A. Blackledge, *Negotiation of Identities in Multilingual Contexts*. UK: Multilingual Matters Ltd.

-Pennycook, A. (2004). *Performativity and Language Studies* DOI: 10.1207/s15427595cils0101_1. Critical Inquiry in Language Studies, 1(1), 1-19. doi:https://doi.org/10.1207/s15427595cils0101_1

-Weedon, C. (1993). *Feminist Practice and Poststructuralist Theory*. USA: Blackwell Publishers-.Wittgenstein, L. (1953). *Philosophical Investigations*. Blackwell Publishing.

للإحالة على هذا المقال:

- عزيون محمد اليمين، سعيدي محمد،، (2022)، « **نحو براديغم لغوي لفهم الهوية** » . **المواقف**، المجلد: 18، العدد: 01، أوت 2022، ص. ص 167- 192.